جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الدرس البلاغي والنقدي في مصر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين
وكتاب معاهد التنصيص للعباسي(867-963هـ) نموذجاً

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

الباحث
حسين محمد امحمد العربي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
محمد عبد المطلب	محمد يونس عبد العال
أستاذ النقد والبلاغة	أستاذ النقد والبلاغة

2013م

الإِهداء

إلى ذكرى أستاذي العلامة المرحوم الدكتور

عبد الإله الصائغ. اعترافاً بما أدين له به من فضل.

أهدي بحثي هذا وفاءً لذاته

الباحث

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عبدِه الكتابَ ولم يجعلْ له عِوَجاً، أنزله بلسانٍ عربيٍّ مُبين، وأصلّي وأسلِّم على النبيِّ العربيِّ الأمين ، وعلى آلهِ وصحِبهِ أجمعين ...

وبعدُ ...

فإن هناك ذوقاً أدبيًّا عربيًّا عأَمًّا يلفُّ في وَحْدَتهِ أوساطَ الأدبِ العربي المختلفة ، ثم لكلِّ بيئةٍ عربيةٍ أدبيةٍ مع هذا حسٌّ أدبيٌّ خاصٌّ فيه من آثارِ بيئتِها الاجتماعيةِ والماديةِ ما يقيم به فروقاً بينها وبينَ بيئةٍ أدبيةٍ أخرى ، لذلك نادى الأستاذُ أمين الخولي في معرضِ دعوتِهِ إلى درسِ البلاغةِ المصريةِ حيثُ قال : " ...العربيةُ في مصرَ ليست إلا عربيةً مصريةً إن لم تتميزْ مفرداتُها وصيغُها عن العربيةِ المراكشيةِ أو العربية العراقية ، أو غير هاتين ، فلا بدَّ أن يتميز ذوقُها ومِزاجُها الفني عن كلِّ أولئك اللهجاتِ تميزاً جلياً لا يصحُّ الإغضاءُ عنه في دراسةٍ فنية قِوامُها الذوقِ، وميزانُها الحِسُّ الأدبي، كدراسةِ هذه البلاغةِ التي نحنُ بصددِها، فنحن إنما نريد تقديرَ الذوقِ المصري الفني الخاص والاحتكامَ إلى الحسِّ الأدبي المصري والرجوعَ إلى ذلك دونَ غيره فيما نحدث عنه من دقائق فنية في حسنِ اللفظ أو الجملة ، وما نزعم أن هذا الحس قد بلغ في تركزه حداً استقلَّ به استقلالا تأَمًّا عن الحسِّ الأدبي العربي العام أو الذوق العربي العام ،...، إذ لا يزال هناك ذوقٌ أدبيٌّ عام للعربية ، ولا يزال هناك حِسٌّ فنيٌّ عربيٌّ عام ، وعند هذا الذوقِ يمكن أن يلتقي أبناءُ العربية كثيراً مهما تنأى بهم الديارُ وتفترقْ البيئاتُ لكنا نقدرُ إلى هذا كله أن للبيئةِ الطبيعيةِ والمعنوية حكمَها الذي لن تخرج عليه أمةٌ ولا جماعةٌ مهما تربطُها بغيرِها أواصرُ من النسب، ووشائجُ من العقائدِ والتُّراث التاريخي، ثم لا يزال فعلُ هذه البيئة – طبيعيةً ومعنويةً – تستقر آثارُه على تَقَضِّي السنين، ومرور الأجيال، فتزداد تجسماً وبروزاً، حتى تقيمَ فروقاً إن لم تُخِلَّ بالوحدةِ العامة ، فإن إهمالَها يخلُّ بصدقِ النظرِ ودقةِ التقدير " [1].

ويقررُ فيقول : " ولكني أُقرر غيرَ مترددٍ إن البضعةَ عشرَ قرناً التي مضت على استقرار العربيةِ في مصرَ متميزةٌ عن أختِها في المغربِ أو أقصى المشرقِ لا بد أن تتركَ فرقاً يستحقُّ

[1]– أمين الخولي ، فن القول ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة 1996م ، صـ211–212 .

التدبرَ، ويسترعي النظرَ، وبخاصةٍ في المظهرِ الفني، الذي هو الصَّدى المردِّد، والانعِكاسُ الصادقُ للبيئةِ الخاصةِ ومَيْزاتِها " [1] .

ويقول الدكتور عبد الرازق حويزي : " وانطلاقاً من غَيرتِنا الشديدةِ على تراثِ أجدادِنا العظماء ، ورغبةً منا في بعثِه ليرى نورَ الحياة ، ومن ثَمَّ يتسنى لنا ولغيرِنا استجلاءُ جوانِبه، واتجاهاتِه ، والإفادةُ منه عبرَ القرونِ العديدة ، خاصةً في القرنِ العاشرِ الهجريّ ، ذلك القرن الذي لم يَنَلْ حَظَّهُ من الدرس ، ولم يُوفَّر عليه حقّه من البحث " [2].

من ذلك أخذتْ نفسي تنازعُني للتصدي لعملِ أُطروحتي عن البلاغةِ والنقدِ في مصر في القرنِ العاشرِ الهجري، وعلى الرغمِ من أن موضوعَ البحثِ لم يكنْ يتشكلُ أمامَ عيني فإنَّ الأقدارَ ساقتني للقاءِ الأستاذِ الفاضلِ الدكتور عيد محمد محمود شبايك، الذي جاءت منه الإشارةُ الأمينةُ إلى كتاب(معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) لعبد الرحيم العباسي(867-963هـ) ، مصرّحاً بأن مادةَ هذا الكتابِ لم تنلْ عنايةَ الباحثينَ ولم تلقَ أيّ لفتةٍ رَحْبةٍ وعميقةٍ من دارسي البلاغةِ والنقدِ، فعكفتُ على قراءتِه ورأيتُ فعلاً أنه من خيرِ المصنفاتِ البلاغيةِ والنقديةِ التي تمثلُ القرنين التاسعَ والعاشرَ الهجريين عصرَ نشأةِ المؤلفِ وحياتِه .

وكان من ثمرةِ ذلك بحثُنا هذا الذي وَسَمْناه بـ (الدرسِ البلاغيِ والنقديِ في مصرَ في القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين ، وكتابُ معاهدُ التنصيصِ للعباسيِّ نموذجاً) .

وهناك أسبابٌ ودوافعُ دفعتني لاختيارِ هذا الموضوع – غيرُ ما ذكر – أهمُّها ما يلي :

١ -لما كانت رسالةُ التخصُّص (الماجستير) قد تم إنجازُها في كتاب (المثلُ السائرُ لابن الأثير) فقد أحببتُ أن يكونَ الطريقُ في بحث (الدكتوراه) متصلاً بالتراثِ البلاغيِّ والنقدي أيضاً .

٢ -أن أضيفَ حلقةً جديدةً إلى سلسلةِ كتبِ البلاغةِ والنقدِ التي دُرِست ، فأقدمُ للباحثين دراسةً علميةً عن حلقةٍ بلاغيةٍ ربما كان البحثُ عنها غائباً عن الكثيرين فيما أظن .

---

[1]- فن القول : صـ212 .

[2]- شعر عبد الرحيم العباسي ، دراسة وتحقيق عبد الرازق حويزي ، منشورات مكتبة الآداب بالقاهرة ، طـ1، سنة 2006 م، صـ3 .

٣ -رغبتي الصادقةُ في مُدارسةِ تُراثِ أجدادي المصريين، والتعرُّفِ على فكرِهم البلاغيِّ والنقدي ، واختياراتِهم في القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين .

وإذا ما حدَّثتُ عن تصميمِ أطروحتي ومنهجي فيها لا أنسى أن أمهدَ لذلك بالوقفةِ عندَ جهدِ من سَبَقني من الباحثين ، نذكرُ منهم :

- شعرُ عبد الرحيم العباسي ، دراسة وتحقيق عبد الرازق حويزي ، مطبعة الآداب بالقاهرة ، سنة 2006 م .

- بحوثُ المؤتمرِ العلمي السابعِ لكليةِ دارِ العلومِ بالفيوم، بعُنوان (الهوية العربية الإسلامية عند مفكري القرن العاشر الهجري) .

وقد صادفتني عدَّةُ مصاعبَ وعقباتٍ في أثناءِ الدراسةِ أهمُّها :

١ -ندرةُ المصادرِ والمراجعِ التي تناولت هذه الفترةَ التاريخيةَ للبلاغةِ والنقد .

٢ -تناثرُ الآراءِ البلاغية والنقدية للعلماءِ المصريين في كثيرٍ من المصادرِ التاريخية والأدبية .

٣ -إن معظمَ مصادرِ القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين لا تزالُ مخطوطةً تنتظرُ من يوقظُها من سُباتها العميق .

٤ -تناثرُ آراءِ عبد الرحيم العباسي النقديةِ في كتابه (معاهد التنصيص) .

لذلك نالت رسالتي مني الجهدَ الذي لا يعلمُه إلا الله سبحانه وتعالى .

ومن أجلِ تجليةِ كوامنِ الدرسِ البلاغي والنقدي في مصر ، وسَبْرِ أغوارِ جزئياتِه من خلالِ كتاب (معاهدُ التنصيصِ على شواهدِ التلخيص) ارتأيتُ أن تكونَ الدراسةُ لهذا الموضوعِ في مقدمةٍ وبابين ، وخاتمةٍ، وفهرسين .

المقدمةُ تضمنت ما يأتي :

أ -أهميةَ الموضوع .

ب -أسبابَ اختياره .

جـ- أهمَّ الدراساتِ السابقة .

د- مصاعبَ الدراسة .

هـ- عرضَ الخُطةِ المرسومةِ للبحث .

و- توضيحَ منهجِ الكتابةِ فيه .

ز- كلمةَ شكرٍ وتقدير .

البابُ الأولُ بعُنوان (الدرسُ البلاغي والنقدي في مصرَ في القرنين التاسع والعاشر الهجريين) ، وينقسمُ إلى ثلاثةِ فصولٍ تصدَّرَها تمهيدٌ عن تاريخِ البلاغةِ والنقد العربيين قبل القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين بعامة .

ثم أعقب هذا الحديثَ عن الشخصيةِ المصريةِ في الفصلِ الأولِ تحتَ عنوان (أشهرُ البلاغيين والنقادِ في مصر) وفيه تحدثتُ عن حياتِهم ومكانِتهم العلمية ، ومؤلفاتِهم ووفاتِهم .

أَمَّا الفصلُ الثاني والثالث فخصَّصتُهما للحديثِ عن القضايا البلاغيةِ والنقديةِ في مصر ، وأرغب في هذين الفصلين أن أرصدَ زياداتِهم في موضوعاتِ الدرسِ البلاغيّ والنقدي في مصر .

وأَمَّا البابُ الآخر فقد رأيتُ في مبحثي هذا أن أسلِّط الضوءَ على كتاب (معاهد التنصيصِ على شواهدِ التلخيص) لعبد الرحيم العباسي ، فقسمتُ الباب إلى تمهيدٍ و أربعةِ فصول .

التمهيدُ جعلتُه للتعريفِ بصاحبِ كتابِ (معاهد التنصيص...) ، نسبهِ ومولدهِ ، نشأتهِ وثقافتهِ ، الوظائفِ التي تولَّاها ، رحلاتِه ، مكانتِه العلميةِ وآراءِ العلماءِ فيه .

والفصل الأول : تناولتُ فيه (دوافعَ تأليفِه ومصادرَه) .

أَمَّا الفصل الثاني فكان عن منهجه في كتاب (معاهد التنصيص...)، ليتضحَ لنا أيُّ تلك المناهج التي ارتضاها ذوقُه المصري .

و أَمَّا الفصل الثالث فعنوانُه (آراؤُهُ البلاغية) وقد اشتمل على فنونِ البلاغةِ الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، وفي هذا الفصلِ حاولتُ أن أبرزَ جهودَ عبد الرحيم العباسي ومساهمتَه في تطورِ فنونِ البلاغةِ في مصر .

و أَمَّا الفصلُ الرابعُ فجعلته بعنوان (آراؤُهُ النقدية) تناولتُ فيه قضايا أثارها عبدُ الرحيم العباسي من خلالِ شرحِه ، لأصلَ إلى التطورِ الذي حققه عبدُ الرحيم العباسي في المصطلح النقدي .

ثم أردفتُ هذين البابين بخاتمةٍ وفهرسين ، في الخاتمةِ رصدتُ النتائجَ التي توصلتْ إليها الدراسة ، أَمَّا الفهرسانِ فقد جعلتُ أولَهما للمصادرِ والمراجع ، والثاني للمحتويات .

وسوف أتبعُ في هذه الدراسة المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ محاولاً أن أبرزَ عناصرَ الإبداعِ في الدرسِ البلاغيِ والنقديِ في مصرَ في القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين .

وإذا كانت هناك من كلمةِ شكرٍ وعرفانٍ أسوقُها بين يَدَيْ البحثِ فهي الإقرارُ لأصحابِ الفضلِ الذين مدوا لي يدَ العونِ والنصح ، ويقتضي الوفاءُ الاعْتِرافَ بفضلِ أستاذي الدكتور محمد عبد المطّلب الذي تفضلَ مشكوراً بالإشرافِ على هذا البحثِ منذ أن كان فكرةً مقترَحةً إلى أن استوى رسالةً علمية ، وفضلُ المشرفِ الأستاذِ الدكتور محمد يونس عبد العال على هذا البحثِ فضلٌ مباشرٌ وعظيمٌ جداً ، فيما أنا مدينٌ له بهِ من توجيهاتِه العديدةِ ورُوحِهِ السمحِ الكريمِ الحادب الحازم الصديق، أدعو اللهَ أن يَجْزِيَهُ عني خيرَ الجزاء، إنه نعمَ المولى ونعمَ النصير .

كما أقدمُ خالصَ شكري وعظيم امتناني للجنةِ العلميةِ التي تفضلت مشكورةً بقبولِ مناقشةِ هذه الأطروحة ، وإلى كل من أعانني بكلمةٍ ، أو توجيهٍ، أو مشورةٍ، من الأساتذةِ والأصدقاء .

وأخيراً ... لستُ أزعمُ لهذه التجربةِ الكمال ، فهي كأيِّ عملٍ لها صعابُها ومخاطرُها ، ولكني آمُلُ أن أكونَ قد بدأتُ بها خُطوةً أضعُها بين يدي الباحثِ العربي لتكون دليلَهُ وعونَهُ، وأداتَهُ، في رحلتِهِ إلى عالمِ الدرسِ البلاغيِ والنقديِ في مصرَ في القرنين التاسعِ والعاشرِ الهجريين .

الباب الأول

الدرس البلاغي والنقدي في مصر في القرنين التاسع والعاشر

التمهيد:

تاريخ البلاغة والنقد العربيين

العلوم كالكائنات الحية، تبدأ صغيرة ثُمَّ تنمو ، حتى تبلغ أَشدّها، ولا نعرف علماً من علوم العربيةِ شذَّ عنْ هذه السنة ، إلا علم العروض ، فإن الخليل بن أحمد الفراهيدي أظهره تمأَمًّا ، ولا نعرف له سلفاً قبله، أَمَّا علوم البلاغة والنقد فلم توجد كاملة، وإنما مرت بالأطوار التي مر بها كل علمٍ، مما جعل كتابة تاريخ للبلاغة والنقد العربيين أصبح مسألة ملحة اليوم ، ورغم وجود من يرى صعوبة في التصدي لرصد المسار العام لتطور التأليف البلاغي والنقدي ، لِأَنَّهُ لم يأخذ دائماً مساراً تاريخياً منتظماً ، وإنما كان يسير في مجموعة من الخطوط المتعرجة المتشابكة المتفرقة.[١]

إن البلاغة والنقد يجريان في مضمار واحد ، لأن موضوعهما واحد، وهو بيان وجوه حسن الكلام ، وأسباب رداءته ، وكثير من مسائل البلاغة بني على أُصُولِ وردت في النقد ، وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت في بداية عهدها بسيطة ساذجة ومسائل متفرقة بين العلوم الأخرى ممثلة في النقد الذي يعتمد على الفطرة والذوق الأدبي والإحساس المرهف، والتي كانت بذوره ممثلة في الأحكام [٢]، التي كان الشعراء وغيرهم يصدرونها؛ وليست قصة امرئ القيس وعلقمة الفحل ، والنابغة الذبياني التي كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ ، وقصة الخنساء وحسان بن ثابت وأسواق العرب التي كان الناس يجتمعون فيها فيُلقي الشعراء شعرهم والخطباء خطبهم وينقد بعضهم بعض بعصا، " وهي عملية تعتمد بلا شك على مِران ودُربة وخبرة بوسائل التعبير وطرق الصياغة تهيئ لصاحبها قدرة معنية في هذا المجال " [٣] ، وليست هذه إلا بداية حسنة للبلاغة والنقد وبذوراً أثمرت أصولا وقواعد بعد قرن أو قرنين .

---

[١]- يُنظر البلاغة العربية تاريخها – مصادرها – مناهجها ، علي عشري زايد، مكتبة الشباب بمصر ،ط1، سنة1982م: صـ 3.

[٢]- يُنظر طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تح: محمود شاكر، دار المدني بجدة ، جـ1/131 وما بعدها. ويُنظر الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، أبو عبيد الله المرزباني ، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي القاهرة، سنة1385هـ :صـ35-37 . ويُنظر الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني، تح : إبراهيم الأبياري، مصر 1969م، جـ8/287 . ويُنظر سلسة دخائر العرب ، دار المعارف القاهرة سنة1958م، العدد (55)، :جـ1/332.

[٣]- محمد عبد المطلب ، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1995 : صـ 1.

وأخذت تنمو هذه العناية بعد ظهور الإسلام ، بفضل ما نهج القرآن ورسوله من طرق الفصاحة والبلاغة، فأدرك العرب سر الإعجاز في القرآن الكريم ، إدركاً أساسه الفطرة ودعامته الذوق السليم، بعيداً عن التفلسف والتعليل العلمي والتحليل المنطقي.

فالإسلام كانت له أهميته العظمى في توسيع دائرة الأفق والفكر ، حيث كان له التأثير الكبير في نمو البلاغة وتطورها وتدوين أصولها وقواعدها، والملاحظ أن هذا الأثر لم يكن واضحاً في صدر الإسلام، لانشغال العرب في تثبيت دعائم دولتهم، ونشر الإسلام خارج جزيرتهم ، لذلك بقى النقد في العصر الإسلامي الأول – ساذجاً– يعتمد على الذوق أكثر من اعتماده على التعليل، شأنه في ذلك شأن النقد في العصر الجاهلي فلم تكن أحكامهم النقدية ومقاييسهم البلاغية تخرج عن قولهم: " أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وقولهم أن أشعر بيت في الغزل قول جرير : –

إن العيون التي في طرفها حور

قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

وأن أهجى بيت قول الشاعر:–

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا [1]

ولم تقتصر الأحكام الفطرية على شعر الشاعر فقط، بل كانت هيئة أوصاف يوصف بها الشعراء فلقبوا النمر بن تولب بالكيس لحسن شعره، ولقبوا طفيلا الغنوي بطفيل الخيل لكثرة وصفه إياها ، واختاروا قصائد بعينها خلعوا عليها ألقاباً، ومن ذلك تسميتهم قصيدة سويد بن أبى كاهل التي مطلعها :–

بسطت رابعة الحبل لنا

فوصلنا الحبل منها ما اتَّسع

باليتيمة[1] وأخضعوا القواعد النقدية الفنية للناحية الدينية، ومن ذلك ما روي عن عمر بن خطاب – رضي الله عنه– إنه أخذ الشاعر على قوله:–(كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً)

[1]- يُنظر الأغاني : جـ306/8.

حيث رأى أنه من الأفضل تقديم الإسلام على الشيب [٢] ، وأنه لو فعل ذلك لأجازه ، وهذا يدل بلا شك على دور الناحية الإسلامية في تقويم الشعر إلى الأصوب .

وبعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وانتشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية ، ودخل غير العرب في الإسلام واختلطوا وامتزجوا بالعرب نشأ جيل جديد مزج بين العرب وغيرهم، فبدأ اللحن يتسرب أولا إلى اللسان ثم إلي الأساليب العربية، والقرآن في ذلك الوقت أهم ما يعنيهم، فهو كتاب دينهم ومعجزة نبيهم، " فغدا القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية لهم" [٣] .

واندفع الغيور على الإسلام من غير العرب إلى مشاركة العرب في دراسة لغة دينهم والاعتناء بها، ووجهوا عنايتهم إلي وضع أسس للدراسات اللغوية محافظة على القرآن ، وانصرف العلماء إلى تبين وجوه إعجازه وبلاغته – خصوصاً– وقد احتَوىَ على كثير من الألوان الزاهية من مجاز وتشبيه وكناية والكثير من الصور الرائعة التي تحمل كثيراً من الخصوصيات والكيفيات، فكان تفهم القرآن مدعاة للكشف عن هذه المباحث التي هي من صميم البلاغة والنقد.

وقد ترتب على استقرار العرب في البلاد وترجمة العلوم المختلفة عن اليونانية والسريانية والفارسية وغيرها، أن خطا النقد والبلاغة خطوات كبيرة وظهر من يؤلف في الأدب ونقده ، وقد كان ابن سلام الجمحي (139– 231هـ) من أوائل الذين كتبوا في الأدب ونقده، وكتابه (طبقات الشعراء) فيه تقسيم الشعراء إلى طبقات وملاحظة اختلاف الشعر باختلاف البيئات ، فشعر البادية غير شعر الحواضر والمدن.

وقد شاركتْ كتب اللغة والنحو، وكتب التفسير في تدوين قواعد البلاغة وضبط مسائلها " فأبو بشر عمرو بن عثمان المشهور بسيبويه (ت– 180هـ) ذكر في كتابه الشهير بعض المسائل التي ادخلها المتأخرون في علم المعاني كالتقديم والتأخير والتنكير والتعريف وبعض المسائل أدخلوها في علم البيان كالمجاز وأحد أنواعه التي أطلق عليه فيما بعد اسم المجاز العقلي[٤].

---

[١]- يُنظر الشعر الشعراء ، ابن قتيبة ، دار الحديث بالقاهرة ، سنة1423هـ ، جـ1/299 وما بعدها . ويُنظر طبقات فحول الشعراء ،جـ1/103، ويُنظرالمؤتلق والمختلف في أسماء الشعراء وكناهمم وألقبهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، الحسن بن بشر الآمدي، تح : ف. كرنكو ،دار الجيل ببيروت، ط1، سنة1411هـ -1991م: صـ190 .

[٢]- يُنظر طبقات فحول الشعراء : صـ63.

[٣]- حمادي صمود ،التفكير البلاغي عند العرب ، منشورات الجامعة التونسية ، العدد21، 1981: صـ34.

[٤]- يُنظر الكتاب ، سيبويه، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، سنة1408هـ -1988م، جـ1/108 ، وما بعدها .

وذكر أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت- 207هـ)، في كتابه (معاني القرآن) بعض مسائلها كالتشبيه والمثل، والكناية، والمجاز، والاستعارة، والإيجاز، والحذف، والاستفهام وخروجه إلى الأمر، والتعجب، والتوبيخ، والتقديم والتأخير [1] ، وإنْ كانت النزعة النحوية واللغوية سيطرت على هذه المباحث سيطرة تامة ولا عجب في ذلك فالفراء رأس مدرسة نحوية كان لها منهجها وطريقتها .

وألف أبو عبيدة معمر المثنى (ت- 208 هـ) كتاب مجاز القرآن من أجل مسألة بلاغية تتصل بالتشبيه وكون المشبه به معلوماً أو مجهولا في قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالكتاب يعتبر تفسير لما في الآيات القرآنية من غريب وتبيين وجوه نظم القرآن، ولم يعن أبو عبيدة بالمجاز [2] ما فهمه البلاغيون فيما بعد؛ إنما هو" الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة"[3].

وقد جفل القرن الثالث الهجري بمجموعة من العلماء اتَّسَعَتْ دراستهم الأدبية والبلاغية والنقدية مما كان له اكبر الأثر في تطورها، فنرى في مقدمة هؤلاء العلماء:- أبو عثمان عمر بـــن الجاحظ (ت- 255هـ)، فكتاباه(البـــيان والتبييـــن) و(الحيوان) مشحونان بكثير من موضوعات البلاغة والنقد التي فرَّقها بين سطورها، فكان بذلك من خيرة المصادر في بحث البلاغة والنقد ، وقد عده بعض الباحثين[4] مؤسس للبيان العربي.

ذلك لِأَنَّهُ استطاع أن يضيف إلى من تقدمه فنونا جديدة بطريقته التي لا تختلف كثيراً عن طريقة مما معاصريه فهو لم يفرد لها فصولاً كأبي هلال العسكري (ت- 395هـ) صاحب (الصناعتين...) وعبد القاهر الجرجاني(ت- 471هـ)، و إنما نثر مسائلها نثراً في فصول كتبه المختلفة .

ومن الموضوعات البلاغية التي تناولها الجاحظ" الاستعارة التشبيه والمجاز، والكناية، والإيجاز، والإطناب، والتورية، والسجع، والاقتباس، والأسلوب الحكيم والمذهب الكلامي .

---

[1]- يُنظرمعاني القرآن ، يحيى الفراء، تح: أحمد نجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، جـ5-15-21-23-24 ، جـ2/2-41.

[2]- يُنظر مجاز القرآن ، أبو عبيدة بن المثنى، تح : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، سنة1381 م .

[3]- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف بالقاهرة ، ط11 : صـ29.

[4]- يُنظرالبلاغة العربية في دور نشأتها ، سيد نوفل ، دار المعارف بالقاهرة، سنة1948م .

والمتتبع لهذه الألوان عند الجاحظ يتأكد من إطلاعه الواسع وذوقه الرفيع ، وإدراكه العميق للمعاني والأساليب ، مما كان له أكبر الأثر فيمن جاء بعده من العلماء .

وجدير بالذكر أن البيان عنده هو " الاسم الجامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلي حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل " [١] .

وأَمَّا البديع فهو عنده وصف للمعاني والصورة الغريبة الطريفة كالاستعارة والتشبيه وفنون البلاغة الأخرى، وقصره على العرب[٢].

ولم يذكر الجاحظ مصطلح علم المعاني لِأَنَّهُ لم يكن معروفاً في عهده وأن أشار إلى بعض الفنون التي أدخلها المتأخرون فيه كالإيجاز والأطناب ، وأهتم بالفصاحة اهتمأَمَّا كبيراً ؛ لِأَنَّهُ يرى أن العناية بالألفاظ جديرة بالرعاية، وتكلم على تنافر الحروف وملاءمة الألفاظ [٣].

وعلى كل فقد ظلت بلاغته و مصطلاحاته قريبة من محتواها اللغوي والأدبي الذي أملته ثقافته وحياة عصره الفكرية .

وفهم ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة (ت- 276هـ) صاحب كتاب (تأويل مشكل القرآن)، فتكلم فيه عن كثير من فنون البلاغة وعقد لها أبوابا هي : القول في المجاز والاستعارة، والمقلوب ، والحذف، والاختصار، وتكرار الكلام والزيادة فيه، والكناية والتعريض، ومخالفة ظاهرة اللفظ معناه .

ومنهجه في الدراسة هذه الألوان يقوم على تعريف الفن البلاغي وضرب الأمثلة من القرآن الكريم وبليغ كلام العرب وشعرهم، وهو بذلك يُعَدُّ من العلماء الذين فتحوا باب التأليف في هذا الفن.

ومن علماء هذه الفترة أيضاً:" أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت- 280هـ)، وهو صاحب رسالة في البلاغة ، أجابها عن سؤال وجه إليه : أي البلاغيين أبلغ؟ أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع؟ .

---

[١]- عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار مكتبة الهلال ببيروت ، سنة1423 هـ ، جـ11/1.
[٢]- يُنظر المصدر نفسه: جـ281/3 .
[٣]- يُنظر الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط2 ، سنة1424 هـ ، جـ34/6 ،ومابعدها.

وقد أجاب المبرد في رسالته:" أن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول ، فإن استوى هذا الكلام المنثور والكلام الموصوف المسمى شعراً فلم يفضل أحد القسمين صاحبه، فصاحب الكلام الموصوف أحمد، لِأَنَّهُ أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزنا وقافية والوزن يحمل على الضرورة والقافية تضطر إلى الحيلة " [١].

وكتابه (الكامل) زاخر بفنون الأدب مع كثير من الشرح والتعليل والنقد والموازنة [٢] ، كذلك كتابه (المقتضب) تكثر فيه الملاحظات البلاغية، كالخبر بمعنى الأمر، والخبر للدعاء والدعاء يجري مجرى الأمر يراد به الوعيد والتهديد[٣] .

وجملة القول أن المبرد اللغوي النحوي لم تشغله صنعته عن تذوق النصوص القرآنية والشعر العربي، فمضى في مؤلفاته يتحدث عما فيها من لمحات بلاغية ونقدية .

أَمَّا الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز(ت– 296هـ) فقد اسْتَفَاد من جهود السابقين كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد، وتعلب، فوضع كتاباً سماه (البديع) الذي كان خطوة جديدة خطتها البلاغة نحو التطور والنضج .

وينبغي أن يقال إن البديع عند ابن المعتز ليس هو ما تعارف عليه المتأخرون من وجوه تحسين الكلام اللفظية والمعنوية، وإنما هو معنى واسع أو مصطلح عام تنضوي تحته كثير من موضوعات البلاغة التي عرضها بالتبويب والتنظيم، ومبيناً نظرته النقدية التي تعتمد على الذوق والمعرفة الواسعة ، وتقوم طريقته في معالجة الفنون على تعريف الفن تعريفاً لغوياً ليس فيه التحديد الدقيق والنظرة الكلية، فيذكر بعد التعريف أمثلة جيدة ثم يتبعها بأمثلة ليس فيها روعة وجمال ليظهر مابين الجيد والردئ من اخْتِلاف ، وهو بذلك يبتعد عن السابقين الذين سيطرت عليهم النزعة النحوية واللغوية، ويسير في طريق الشعر ؛ لِأَنَّهُ كان شاعراً يهزه الكلام البليغ ويبعث فيه حب الشعر ونقده .

فألف رسالة نقدية في محاسن شعر أبى تمام ومساوئه وقد أشار فيها إلى بعض الفنون

---

[١]- رسالة البلاغة ، طبعة دار المعارف بالقاهرة1965م : صـ59-60 .

[٢]- يُنظر الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تح: مجمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة،ط3، سنة1997م . .

[٣]- يُنظر المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب ببيروت: جـ2/86 ، جـ3/218، جـ4/175 .

البديعة التي تعد تطبيقاً لما عرضه في كتابه البديع [١] .

وكتاب (البديع) لابن المعتز كان له تأثيره الكبيرة في كتاب (بديع القرآن)، و(تحرير التجبير) ،لابن أبى الإصبع المصري .

وإذا انتقلنا إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين وجدنا أن هذه الفترة قد اتَّسَع فيها نطاق الدراسات الأدبية، فأخذ التفكير البلاغي والنقدي الذي وضعت أصوله في القرن الثالث يأخذ طريقه نحو الازدهار والنضج، وأخذ العلماء يتجهون إلى تحديد المفاهيم بعد ذلك التعميم الذي كان يغلب على أسلوب التفكير، فنجد (عيار الشعر) لابن طباطبا (ت- 322هـ)، و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ت- 337هـ)، و(الموازنة بين أبى تمام والبحتري) للآمدي (ت- 371هـ) ، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني (ت- 386هـ)، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني (ت-392هـ) ، وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ت- 396 هـ).

وتشتمل هذه الكتب على كثير من المباحث والمسائل البلاغية فمعيار الشعر يعرض للتشبيه وضروبه وأدواته، وحسن الابتداء والتعريض الذي ينوب عن التصريح، والاختصار الذي ينوب عن الإطالة، والإغراق، وغير ذلك من الموضوعات البلاغية.

أَمَّا كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر ، فهو كما يفهم من اسمه كتاب في النقد يقوم على منهج محدد المعالم، تكلم فيه على عناصر الشعر وجعلها أربعة: المعنى واللفظ والوزن والقافية، وذكر كثيراً من موضوعات البلاغة كالتميم والمساواة، والتشبيه وصحة التقسيم، والالتفات وغيرها، ومنهجه في الكتاب منهج عقلي يقوم على حصر مسائل البلاغة ونقل النقد العربى إلى موضوعية كانت قبله مضطربة مترددة يخالطها كثير من النقد الذاتي [٢].

وأَمَّا كتاب الموازنة بين الطائين للآمدي (ت- 371هـ)، الذي يعرض للقارئه بين أبى تمام والبحتري ، فهو كما يرى أحد الباحثين [٣] ، أول كتاب في النقد المقارن عند العرب بمعناه العلمي الدقيق، وجاءت المسائل البلاغية متناثرة في الكتاب كالاستعارة والأطناب ، والتجنيس، والحذف ، المجاز ، والاستفهام و خروجه إلى التقرير، وذكر القلب ، والمفاضلة وحسن الابتداءات [٤] .

---

[١]- يُنظر إبراهيم الحُصري القيرواني ، زهر الآداب وثمار الألباب، ، تح: زكي مبارك ، مطبعة الرحمانية بالقاهرة، 1931م، جـ127/1 .

[٢]- يُنظر،البلاغة عند السكاكي ، أحمد مطلوب، منشورات دار النهضة ببغداد ، ط1، سنة1964م .

[٣]- يُنظر شوقي ضيف ، النقد الأدبي ، دار المعارف بالقاهرة ، ط8 ، صـ65 .

[٤]- يُنظرالموازنة بين أبي تمام والبحتري ، الحسن بن بشر الآمدي ، تح : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المسيرة ببيروت، ط5 ، سنة1987م ، صـ4 ، وما بعدها.